Emotional Values In The Poetry Of Nadim Muhammad: An Aesthetic Study

Lynn Ghadeer Hassan*
Dr. Zakwan Juma Al Abdo**
Dr. Yasser Abdel Rahim***

(Received 19 / 4 / 2026. Accepted 23 / 6 / 2026)

□ ABSTRACT □

This research examines the emotional values in the poetry of Nadim Muhammad from an aesthetic perspective, through the analysis of four basic values that form the core of the emotional experience in his texts, namely: love, pain, life, and death. It aims to reveal how these values manifest in his poetry and their role in expressing the poet's vision of existence and humanity.

Love emerges as a central theme in Nadeem Muhammad's poetry, appearing as a driving force that gives life meaning and alleviates the harshness of reality. Pain, on the other hand, is presented as an experience through which the poet reflects his personal suffering, lending the text a profound human dimension. As for the value of death, it is not presented merely as an end, but as an existential reality that provokes questioning and contemplation, linked to the search for meaning and immortality. Meanwhile, life in his poetry represents a space of struggle.

The research followed the descriptive approach, benefiting from the procedures of aesthetic criticism in approaching the text to reach an integrated aesthetic vision in its cognitive revelations, and came out with results, the most important of which is that emotional values reveal a contemplative tendency that leads to a coherent emotional unity in the poetic text.

Keywords: Emotional Values - The Poetry of Nadim Muhammad

Copyright **:**Latakia University Journal (Formerly Tishreen) -Syria, The Authors Retain The Copyright Under A CC BY-NC-SA 04

* **PhD Student, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University(Formerly Tishreen) , Syria. Leen.hasan@latakia.univ-edu.sy**

** **Associate Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University(Formerly Tishreen), Syria. zakwan.alabdo@gmail.com**

*** **Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, University of Aleppo, Syria. pro.yaser.abdulrahim@alepuni.edu.sy**

القيم العاطفيّة في شعر نديم محمد "دراسة جماليّة"

لين غدير حسن*

د. زكوان جمعة العبدو**

د. ياسر عبد الرحيم***

(تاريخ الإيداع 19 / 4 / 2026. قبل للنشر في 23 / 6 / 2026)

□ ملخّص □

يتناول هذا البحث دراسة القيم العاطفية في شعر نديم محمد "دراسة جماليّة"، من خلال تحليل أربع قيم أساسية تشكل جوهر التّجربة الشّعورية في نصوصه، وهي: الحب، الألم، الحياة، الموت. ويهدف إلى الكشف عن الكيفية التي تتجلى بها هذه القيم في شعره، ودورها في التّعبير عن رؤية الشّاعر للوجود والإنسان.

تبرز قيمة الحب بوصفها محوراً أساسياً في شعر نديم محمد، فتظهر كقوة دافعة تمنح الحياة معنى وتخفف من قسوة الواقع. أمّا الألم فيتجلى بوصفه تجربة يعكس من خلالها الشّاعر معاناته الذّاتية، مما يمنح النّص بعداً إنسانياً عميقاً. وفيما يتعلق بقيمة الحياة، فإنّها تمثل في شعره فضاء للصراع، بينما لا يقدَّم الموت بوصفه نهاية فقط، بل حقيقة وجودية تثير التّساؤل والتّأمل وترتبط بالبحث عن المعنى والخلود.

وقد اتبع البحث المنهج الوصفي مستفيداً من إجراءات النّقد الجماليّ في مقاربة النّص للوصول إلى رؤيا جماليّة متكاملة في كشوفاتها المعرفية، وخرج بنتائج من أهمها أنّ القيم العاطفيّة تكشف عن نزعة تأمليّة تؤدي إلى وحدة شعورية متماسكة في النص الشّعري.

الكلمات المفتاحية: القيم العاطفيّة - شعر نديم محمد

حقوق النشر : مجلة جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً)- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* طالبة دكتوراه- قسم اللّغة العربيّة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً)- سورية. Leen.hasan@latakia.univ-edu.sy

** أستاذ مساعد- قسم اللّغة العربيّة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً)- سورية. zakwan.alabdo@gmail.com

*** أستاذ- قسم اللّغة العربيّة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة حلب- سورية. prof.yaser.abdulrahim@alepuniv.edu.sy

مقدمة:

تُعدّ القيم العاطفيّة أحد الأبعاد الجوهرية في البنية التّكوينية للوعي الإنسانيّ؛ بوصفها الفضاء الذي تتكوّن فيه الخبرة الوجدانية، وتتمظهر عبره مختلف أنماط التّفاعل المتنوعة مع الذّات والآخر والعالم. ولا تقتصر هذه القيم في إطار كونها استجابات وجدانية عابرة، بل تتجاوز ذلك لتغدو منظومة دلاليّة تسهم في تشكيل الرّؤية الوجوديّة للإنسان لتغدو تعبيراً عميقاً عن وعي الإنسان بذاته ومصيره.

تأتي **أهمية البحث وأهدافه** من أنّه يتناول القيم العاطفيّة في شعر نديم محمد؛ إذ تمثّل نصوصه مجالاً خصباً للدراسة لما تحمله من كثافة دلاليّة، خاصة في معالجته للقيم العاطفية التي تتحول في شعره إلى أداة لكشف تعقيدات الذات الإنسانية وصراعاتها الداخلية. ويهدف هذا البحث إلى كشف القيم العاطفية في شعر نديم محمد، وتحليل أبعادها الجماليّة بوصفها مدخلاً للتأمل في معنى الحياة، والقلق الإنسانيّ والاغتراب.

أمّا **منهج البحث** فقد اعتمد المنهج الوصفيّ مستفيداً من إجراءات النّقد الجماليّ في مقاربة النّص للوصول إلى رؤية جماليّة متكاملة في كشوفاتها المعرفية.

الدراسات السّابقة:

1_صالح، د. أسمهان: الكبرياء والألم في شعر نديم محمد، ماجستير، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1974.

2_كليب، د. سعد الدين: القيم الجمالية في الشّعر العربي الحديث 1950_1975، دكتوراه، جامعة حلب، كلية الآداب، 1989م.

3_دريباتي، آصف: صورة المرأة غي شعر نديم محمد" دراسة الصّورة السّاخرة"، مجلة جامعة اللاذقية، المجلد29، العدد2، 2007م.

4_عيسى، منذر: نديم محمد الشّاعر المتمرد" دراسة أدبية"، دار المتن، العراق، ط1، 2022.

- القيم العاطفيّة:

تحظى القيم العاطفيّة بأهميةٍ خاصة في حياة الإنسان؛ إذ تبرز أعمق ما يمر به من مشاعر وتجارب تكشف حقيقة الحياة التي يعيشها في مواجهة ذاته والعالم؛ إذ تضعه أمام أسئلة كبرى تجعل لحياته قيمة ومعنى. فالشّاعر لا يتعامل مع الواقع بوصفه موجودات صامتة، ولا يقف عند حدود التّسجيل الآلي للمظاهر الخارجية. والشعر ليس بنية لغوية مغلقة بل هو بنية نابضة بالحياة تستمد حيويتها من التّدفق الشّعوري للشاعر" فالشّعور يظل مبهماً في نفس الشّاعر فلا يتضح له إلّا بعد أن يتشكل في صورة."[1] فتتحوّل التجربة الذاتية للشاعر من انفعال نفسي عابر إلى قيمة جمالية تتخطى الأطر الزمانية الضيقة، لهذا يغدو البحث في القيم العاطفية تتبعاً لكيفية تحوّل المشاعر الحسيّة داخل الذّات الشاعرة إلى رؤية جماليّة تمنح الوجود صبغته الوجدانية. والسّؤال هنا: إلى أيّ حد استطاعت القيم العاطفيّة (الحبّ، الألم، الحياة، الموت) في شعر نديم محمد أن تتحول إلى رؤى جماليّة كاشفة عن جوهر تجربته الذاتية؟

[1] **إسماعيل، د. عز الدين: التفسير النفسي للأدب، دار غريب، القاهرة، ط4، د.ت، ص64.**

أ_ قيمة الحبّ:

يشكل الحب قيمة متفردة تكون المصدر لكلّ القيم. لذلك يقال:" أن يريد أن يحب هو أن يريد وضع نفسه وراء كلّ نظام القيم الذي وضعه الآخرون كشرط لكلّ تقويم، وكأساس موضوعيّ لكلّ القيم."[1] ويقدم سقراط عبر كلام الكاهنة ديوتيما تصوراً فلسفياً للحب بأنّه ليس مجرد شعور بين شخصين، بل هو قوة ميتافيزيقية دافعة نحو الكمال والجمال تربط الإنسان بالأبدية والخلود من خلال خلقه أفكاراً وقيماً خالدة تخرجه من محدوديته وقد جاء في المحاورة أنّه لا يوجد رفيق غير الحبّ لإيجاد الاتصال بين الخلود وطبيعتنا البشرية الفانية[2] التي تظل ناقصة إن لم تكتمل بالحبّ الذي يعيد صياغة علاقة الإنسان بالعالم من حوله بوصفه قوة تحررية تعيد للذات توازنها، وبهذا يتحوّل الحبّ إلى" خروج عن عزلتنا الأليمة، وتحطيم لقوقعة الذاتيّة، وانتصار على الأنانية." [3]

وللحب لجوء إلى الآخر يحاول كسر عزلة الاغتراب طلباً بالاعتراف الوجودي، كي يشعر بوجوده ويستعيد معنى الأمان عبر الآخر، بهذا يصبح الحبّ حرية، إنّه رفض دائم لأن يبقى الإنسان مجرد أنا خالصة في لحظة اغترابه فيتجاوز بالحبّ انفصاله عن ذاته والعالم، ويرغب أن يصير محبوباً؛ لأنّ الحبّ هو ما يعطي قيمة لحياته. وفي هذا السّياق يكون للحب "عيان تأمليّ وتأثريّ لمحبوبه كحدّ موضوع لحريته، وكأساس لا مفر منه ومختار لعلوه، وكشمول وجود وقيمة عليا." [4] فإذا كان الفكر عند ديكارت هو دليل الوجود، فإنّ الحبّ يمكن النّظر إليه بوصفه قيمة أوثق صلة بالتّجربة الإنسانيّة؛ لأنّه يشمل العقل والعاطفة والجسد معاً ويعبر عن جوهر الإنسان بوصفه كائناً علائقياً ينفتح على الآخر. ومن هنا يمكن صياغة المبدأ الآتي: " أنا أحبّ إذاً أنا موجود."[5]

وإذا كانت قيمة الحبّ قد تمثلت في التّصور الفلسفيّ بوصفها مظهراً من مظاهر الوجود تعزز انفتاح الذّات على الغير، فإنّ حضورها في الشّعر يتحرر من مجرد التّأمل النظري ليتحقق في صورة فنيّة وجماليّة، هذا يتيح الانطلاق نحو فهم أعمق لهذه القيمة في شعر نديم محمد الذي منح الحبّ موقعاً مركزياً، وجعل منه أداة للتّعبير عن ذاته، والعالم من حوله. يقول[6]:

الحـــبّ، هـــذا نغـــمٌ أخضـــرٌ منهمـــلٌ مـــن أفـــقٍ مخملـــي
ألمـــحُ فـــي عينيـــك مـــن لونِـــه مـــا يتعـــرّى فيـــه.. مســـتقبلي
مســـتقبلٌ أعـــذبُ بـــه طـــائفٌ مـــن أجمـــلٍ هـــان إلـــى أجمـــلِ

ينهض الخطاب الجمالي في البيتين على تراسل الحواس. فالحبّ هو نغم أخضر مما يوحي بأنّه ليس شعوراً ساكناً، بل يمنح الطّاقة والحياة، ويبعث الرّاحة النّفسية، ويعمق الشّعور بالأمل بالمستقبل فهو قيمة راقية تمنح الإنسان يقيناً ورؤية صافية تمتد عبر الزمن "مستقبل أعذب به طائف من أجمل هانَ إلى أجمل" يصور الحبّ بأنّه قيمة تنشئ

---

[1] سارتر، جون بول: الوجود والعدم بحث في الانطولوجيا الظاهراتية، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط1، 1966، ص596.

[2] جمعة، محمد لطفي: مائدة أفلاطون كلام في الحب، مؤسسة هنداوي، د. ط، 2021، ص129

[3] إبراهيم، زكريا: مشكلة الحبّ، مكتبة مصر، ط2، 1970، ص309.

[4] المرجع نفسه، ص605.

[5] إبراهيم، زكريا. مشكلة الحبّ، ص317.

[6] نديم، محمد. الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول (براعم ربيع)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1996، ص159.

الجمال الخلّاق، وترتقي من حالة جماليّة عليا إلى حالة جماليّة أعلى في حياة الإنسان في حلقة دائمة لا تنقطع. ويقول في قصيدة بعنوان" محراب الحبّ والشّعر" جاعلا قيمة الحب جسراً بين الإنسان والخلود[1]:

إنّ حُـبّ الإنسـانِ فـي هـذه الـدنيا دليـــلُ الحيـــاةِ فـــي الإنســـانِ
هـــو روحُ الكـــونِ المـــدبّر فيـــه هـــو بـــاقٍ، وكـــلّ شـــيءٍ فـــاني

تتجسد قيمة الحبّ في هذا النّص بكونها المؤشر الأعظم على حياة الإنسان. فهو العلامة التي تبرز طبيعته، وتعزز قيمته، وتبرهن على إنسانيّته الحقة. وفي غياب هذا الدّليل تفقد الحياة قيمتها. لذلك فالحبّ عند الشّاعر ليس عاطفة زائلة، بل هو جوهر خالد يتجاوز عالم الماديات، ويسمو على المحسوسات، إنّ له قيمة ميتافيزيقية ليست مجرد ميل، بل قوة تنظم الوجود. وما يكثف جماليّة النّص ثنائية البقاء/ الفناء في البيت الثّاني التي تجعل من الحبّ دعامة للاستمرار، وركيزة للخلود تقاوم الفناء فهو أساس الحياة، وقوة منظمة للوجود ومن دونه كلّ شيء فانٍ وزائل. ومن هنا يمكن القول: إنّ الحبّ هو" عملية امتداد أو توسيع للخبرة الذاتيّة، والوجدان الشّخصي، ما دام من شأنه بالضرورة أن يفتح أمام الذّات عالم الآخر بما فيه من خبرات ومشاعر، وقيم، ومثل عليا." [2]

ويقول[3] في قصيدة أخرى بعنوان" محراب الحبّ والشعر" يربط فيها بين الحبّ والحياة:

عـــاد حُبّـــي، عـــادّ شـــعري عـــاد مـــن رحلـــةِ عُمـــري
فاشـــــهدي... فرحـــــةَ قلبـــــي وانهلـــــي مـــــن خمـــــرِ ســـــحري
أنـــت فـــي شـــعرِي صـــلاةُ الـــوحي فـــــي معبـــــدِ... فكـــــري
وأغاريـــــــــدُ... شـــــــــبابي ودمـــــــائي فيـــــه.. تجـــــري
أنـــــتِ فـــــي صـــــحراءِ شـــــيبي ديـــــمٌ فـــــي جـــــدبِ صـــــدري

يتجلى الحبّ في هذا النّص قيمة تبلور شخصية الأنا عبر علاقتها مع الآخر(المرأة) التي تعيد بحضورها صياغة زمن الأنا ومعناه وجماله. فتكرار الشّاعر كلمة عاد (عاد حبي، عاد شعري، عاد من رحلة عمري) يوحي بأنّ الحبّ ليس مجرد عاطفة عابرة، بل طاقة تحيي الذاكرة، وتعيد تشكيل الحاضر والمستقبل. بهذا المعنى، يصبح الحبّ عنصراً يعيد بناء زمن الإنسان الذاتي؛ إذ يحول الشّيخوخة إلى حياة وجمال. أمّا العلاقة بين الأنا والآخر فتعتمد على تبادل جوهري، فالشّاعر يخرج من دائرته الذاتيّة إلى الآخر الذي يريد منه أن يشهد على فرحته مما يعني أنّ تحقق التّجربة لا يتمّ إلّا من خلال الغير. والآخر، هنا، ليس شخصاً عادياً وجوده هامشيّ، بل حضور وقوة تجعل الأنا تعيد ترتيب ذاتها، وتمنحها القدرة على الإبداع والجمال، يمكن القول: إنّ قيمة الحبّ في هذا النّص تتحدد في كونه قدرة تحويلية، هذا التّحول ليس تجميلياً بقدر ما هو انقلاب لإعادة تشكيل الأنا، ومنحها امتلاء شعورياً ومعرفياً، فالأنا وحدها (جفاف، شيخوخة) والانا مع الآخر (شباب، امتلاء، إبداع). وهذا ما يؤكده د. زكريا إبراهيم في أنّ قيمة الحبّ في

[1] المجلد الأول (براعم ربيع)، ص153.
[2] إبراهيم، زكريا. المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، د. ط، 1966، ص243_244.
[3] المجلد الأول (ورود خريف)، ص265. ديم: الديمة: المطر الذي ليس فيه برق ولا رعد.

حياتنا هي في الفعل الذي تقوم به هذه العاطفة لتحررنا من رفضنا ذاتنا القلقة، فيستبدل بشعورنا بالقلق والتّوتر صورة جديدة نقية وصافية، تتحول فيها خصائصنا الجسدية والرّوحية إلى خصائص مثالية. [1]

ويتحوّل الخطاب الشعريّ لدى نديم محمد ليمثل قيمة الحبّ في بعدها الإنسانيّ حين تتراوح بين العطاء والخذلان. يقول[2]:

هـو حبّـي، عرفتـه بشـميمِ الحـرقِ منـــه، فـــي البـــاردِ الفـــوّاح
أنـــا أســـلمتُه إلـــى غفـــوةِ الطّفـــلِ وضـــــوّأتُ حولَـــــه أفراحـــــي
مالَـــهُ، كيـــف نفّضـــتْ عينُـــه النّـــومَ ورفّـــتْ سُـــخراً علـــى مصـــباحي؟

يتأسس الجمال في البيت الأول من خلال صدمة حسية تجمع بين نقيضين (شميم الحرق، البارد الفواح) هذا التّراسل بين السّخونة والبرودة يخلق حركية ديناميكية داخل الصّورة. وتتجلى قيمة الحبّ في هذه القصيدة في حيز وجودي يتراوح بين العطاء النّقي والخذلان المؤلم. فتُقدم صورة الحبّ بوصفها فعلاً يختبر ثنائية الأنا والآخر، فالأنا تسهم في إضاءة الحبّ، وإثرائه بالفرح كما في صورتي" غفوة الطفل" و"المصباح". فالحبّ، هنا، مولد للأمان والسّعادة والرّاحة المفقودة في الواقع، بينما الآخر يبادل المحبّ بالسّخرية والازدراء، فالأنا تستمد هويتها عبر الحبّ الذي يظهر في النّص بوصفه حاجةً وملاذاً وطاقةً كونيّة تخلق معنى جديداً، وتنشر الجمال. أمّا الآخر فمتقلب لا يستقرّ حول مصباح الشّاعر(المحب) فيتركه في قلق مستمر. الحب هنا ليس مجرد إحساس، بل هو تجربة تقوم على جدلية الألم والجمال. وما يميّز النّص من النّاحية الجماليّة فيما نرى هو كسر أفق التوقع فتحول المصباح من مصدر للأمان إلى هدف للسخرية في حالة دهشة أمام حقيقة الحب بوصفه قوة ساخرة لا يمكن السيطرة عليها لأنها مليئة بالتناقضات.

وعلى ما تقدّم، نجد أنّ الحبّ في شعر نديم محمد ليس عاطفة عابرة، بل هو قيمة أساسيّة للوجود الإنسانيّ، ونزوع نحو الجمال المطلق، والحرية الأصيلة، إنّه القوة التي تدفع الكائن الإنسانيّ للتحرر من قيود الواقع للانفتاح على آفاق أرحب. ويبقى بهذا القوة الفاعلة التي تكسب الحياة جمالها ومعناها، وأعلى أشكال التّطهر الجسديّ والنّفسيّ.

وإذا كان الحبّ يصارع قبح الواقع ويبعث الحيوية في الحياة، ونتجاوز به مأساة هذا الوجود، فإنّ الألم يضع الإنسان في مواجهة مباشرة مع الواقع ومع نفسه في سبيل الارتقاء إلى الوعي الوجودي الأصيل. من هذا الموقف ينطلق البحث لدراسة الكيفية التي يبرز فيها الألم بوصفه قيمة جماليّة في شعر نديم محمد.

ب. قيمة الألم:

ليس الألم مجرد شعور عابر بالمعاناة والعذاب، بل هو تجربة إنسانيّة معقدة تشمل محاور المعاناة الجسديّة والنّفسية والعقلية التي تظهر حدود قدرة الإنسان في صراعه مع عالم متغير، وعجزه عن التّكيف مع العالم الخارجي، فيحاول أن يشكّل المعادلة بين ذاته والوجود من حوله، لكنه يشعر بالعجز عن إيجاد مُثل جماليّة في الواقع، وهو بذلك يبقى في حالة توتر دائم بين الرّغبة والعجز الذي يولد شعور التّألم الذي "مصدره الحدّ من تحقيق الإمكانيات، هو شعور من الذّات الماهوية بأنّ ثمة مقاومة تعانيها من جانب الغير، وهي تحقق ما بها من إمكانيات. ولمّا كان تحقيق الإمكانيات الطّابع الأصليّ لوجود الذّات على هيئة الآنية، فإنّ التّألم إذن طابع أصلي للوجود الذّاتي." [3] وهو بهذا قيمة

[1] ينظر: إبراهيم، زكريا: مشكلة الحبّ، ص255.

[2] محمد، نديم: الأعمال الشّعرية الكاملة، المجلد الثاني(آلام)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1997، ص210.

[3] بدوي، د. عبد الرحمن. دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ص295_ 296.

لا تنفصل عن الوجود الذّاتي، فالذّات دائماً تكون في حالة سعي لتحقيق إمكانياتها، وفي كلّ محاولة تصطدم بقيود وقمع فتشعر بالألم؛ لأنّها تقاوم لتصير ذاتها، ولأنّ العقل أحياناً لا يريد أن يواجه كلمة فشل مباشرة فيحوّل التّجربة إلى إحساس(ألم داخلي)، كأنّ الألم يصبح لغةً بديلةً للتعبير عن الشّعور بالخواء والتّمزق، وبهذا لا يمكننا النّظر إلى الألم على أنّه مجرد إشارة فيزيولوجية بل هو محتوى للوعي.[1]

ويعيد نيتشه في كتابه "ما وراء الخير والشر" تأويل الألم من منظور مختلف من السّلب(معاناة) إلى الإيجاب (ارتقاء وتطهر) بقوله: "إنّ التّأدب بالألم، بالألم الكبير_ ألا تعلمون أنّ هذا التّأدب وحده خلق حتى الآن كلّ ترقيات الإنسان؟ وشدة النّفس في حضرة الهلاك الكبير، وحيلتها وبأسها في تحمل الشّقاء ومجالدته وتأويله واستثماره، وكلّ ما هب لها يوماً من عمق وسر وقنع وروح ومكر وكبر... ألم يوهب لها تحت وطأة التألم ووطأة التأدب بالألم الكبير؟"[2] يربط هذا النّص بين الألم وتأديب النفس وتقويمها وتطهيرها من الشّوائب، وبهذا ينظر إلى الألم على أنّه قيمة للارتقاء والوصول.

وإذا كان نيتشه يرى في الألم قيمة تطهيرية، فماذا عن الألم الأكبر وهو فهم لا معقولية الوجود؟ هنا يأتي فكر كامو الذي يركز على فكرة العبث، ويربط الألم بإرادة القوة، والسّعي إلى تأكيد الذّات التي ترتضي لنفسها الألم في سبيل خلق القيم، وبهذا يكون التّمردُ فعلَ مقاومةٍ للألمِ[3]. وليس من شأن التّألم أن يكون استسلاماً_ بل هو" ضرب من الامتحان او الاختبار لطاقة الموجود الأخلاقيّ؛ لأنّه محك صلابته الرّوحية، وميعاد مرونته الأخلاقيّة".[4]

وبهذا، يتبين أنّ الألم في جوهره ليس مجرد قيمة سلبيّة، بل هو قوة وجودية تطهيرية، ومحرك داخلي عميق للإنسان، فبينما يرى سعد الدين كليب في المعذب صورة الذّات المتألمة المقهورة، فإنّ نيتشه يسمو بقيمة الألم ليجعلها قوة تطهيرية*[5] تسمو بالإنسان نحو الخلق، أمّا كامو فيجعل الألم شرطاً للوعي، وفعلاً للتمرد وهنا تكمن قيمته، فالألم ليس مصيراً يجب تقبله، بل هو تحدّ يمنح الإنسان صلابته وقوته باستنهاض طبيعته الأخلاقيّة.

ونتساءل كيف تعامل نديم محمد مع الألم، هل رأى فيه قوة دافعة تطهيرية استطاع من خلالها فهم الجمال في العالم، أم رأى فيه دافعاً للتمرد، ومصدراً قوياً للإصرار للحفاظ على الهوية والقيم؟ وكيف عولجت هذه القيمة جماليّاً؟

يشكل الألم في شعر نديم محمد قيمة وجودية؛ إذ لا يظهر بوصفه مجرد إحساس ذاتيّ، بل يكشف عن قلق الذّات في صراعها مع الواقع، واصطدامها بالتوترات والقيم المتناقضة التي تحاصر وجودها، وعجزها عن إيجاد معنى

---

[1] ينظر: كارس، جيمس. ب: الموت والوجود دراسة لتصورات الفناء الإنسانيّ في التراث الديني والفلسفيّ العالمي، ترجمة: بدر الديب، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، د. ط، 1998، ص133.

[2] ترجمة: جيزيلا فالور حجار، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2003، ص190.

[3] الإنسان المتمرد، ترجمة: نهادر رضا، ص24.

[4] المشكلة الخلقية، ص215.

[5] يمثل الألم تجربة عميقة تكشف أعماق وجودنا، وتبرز جانبنا الشّخصي، وهو مكون أساس للذات، وجزء من مخزوننا الرّوحي الذي نذخره لمواجهة المستقبل، وقد يتحول إلى أداة فعالة تزيد من خصب حياتنا النفسية، بشرط ألّا نعتبره مجرد شرّ يجب تجنبه، بل نتقبله واقعاً، ونغوص في أعماقه من أجل اكتشاف ما يكمن داخلنا من قيم. لمزيد من الاطلاع ينظر: إبراهيم، د. زكريا: مشكلة الحياة، دار مصر للطباعة، د. ط، 1971، ص269.

داخل شبكة العلاقات التي تعيش فيها وتكبلها بالقيود، فقصائد الألم تنبع من العالم النّفسي، وتصوّر لحظات نفسية مطلقة من الكآبة. يقول[1]:

سـأحفرُ مضـجعي قبـراً وألـبسُ غرفتـي كفنـا
فتغـدو وحـدتي سـداً يقينـي عينـي والأذنـا
فأحيـا بـين أشـعاري وأقطـعُ هكـذا الزّمنـا

يكشف النّص عن لوحات شعريّة تجعل من الألم مركزاً للتجربة؛ إذ يبدأ الشّاعر بمشهد دفن (سأحفر مضجعي قبراً، وألبس غرفتي كفنا)، تتجسد فيه علاقة الذّات بالألم، فقد تحول المكان الأليف(الغرفة) إلى مكان يمتلئ بالألم، والألم في هذا النّص ليس شعوراً مؤقتاً، بل صار حالة يومية تواجهها الذّات وهي تخوض الحياة بكل ثقلها، فتجدها بلا معنى فتسد حواسها بوصفه ردّ فعلٍ على قبح الواقع وفساده. ويتضح البعد الجماليّ لقيمة الألم في البيت الأخير الذي يظهر فيه الألم بوصفه محركاً للزمن، ومصدراً للعزلة الإبداعيّة والخلق.

بهذا، لا يمحو الألم ذات الشّاعر، بل يمنحها شروط وجود جديدة وطاقة جديدة لتشكيل العالم عبر الشّعر؛ بمعنى آخر، الألم هو منبع من منابع الجمال، جمال يولد من المعاناة والقلق. ويقول في قصيدة أخرى يبدو فيها الألم نفسه لساناً[2]:

أحرفـي مـن حريـقِ فكـري دخـانٌ يترامـى شـرارةً فـي سـطوري
وعـذابي فـي كـلّ سـطرٍ لسـانٌ مجمـلُ النّطـقِ، مفصـحُ التّعبيـرِ

يتجسد الألم في هذه اللوحة بوصفه قوة عميقة تلهب العقل، وتترجم التّجربة الباطنية، وصراع الذّات إلى نص، فاللهيب الذي يشتعل في الأعماق يتشكّل أثراً على الأوراق، وكأنّ الألم نفسه قد أصبح جوهر النّص، ومصدر صوره، هنا، يغدو العذاب لساناً مفصحاً؛ إذ يمنح الألفاظ عمقها، ويظهر أعماقاً لا يكشف عنها سوى الألم، بهذا، فلا يقيد الألم الحركة الإبداعية بل يغذيها، ويخلق حالة من التّوازن الجماليّ بين العذاب والإبداع. فالبيتان يصوران الشّاعر وكأنّه يحترق من أجل إبداعه؛ إذ يكون إبداعه هو نتاج ألمه، والسطر شاهد على عذابه. وهو ما يذكرنا بكلام نيتشه في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" حين يقول: " أن تكونوا قد عرفتم اليأس، ففي ذلك الكثير مما يستحق الإكبار ذلك أنّكم لم تتعلموا الاستسلام، ولم تتعلموا الشّطارات الحقيرة." [3]

يقول نديم محمد أيضاً[4]:

آمنـت بالقلـب الإلـه، وجـلّ إيمـاني فأحمـل فيـه مـا لا يحمـل
أحرقتـه، وسـكبت.. فـي ظمـأ الشّـقاءِ رمـاده، فهـو الرحيـقُ الأفضـل

تُعدّ هذه القصيدة تجسيداً شعريّاً للذات المتسامية التي اختارت مساراً مغايراً؛ إذ تُبنى القيم الإنسانيّة فيها على أساس من التّأليه الداخلي، والرّفض المطلق للابتذال الماديّ. يستهل الشّاعر نصه بإعلان إيمانيّ عميق يضع فيه القلب موضع العبادة والقداسة" آمنت بالقلب الإله وجلّ إيماني فأحمل فيه ما لا يحمل". هذا التّأليه للقلب ليس مجرد

---

[1] محمد، نديم: الأعمال الشّعرية الكاملة، المجلد الثالث (غربة الحس)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، ص350.

[2] المجلد الثّاني(آلام)، ص 258

[3] ترجمة: علي مصباح، ص531.

[4] محمد، نديم: الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الخامس (شاعر صومعة)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1998، ص255.

مجاز، بل هو موقف فلسفيّ يعلي من شأن الذّات الباطنيّة، جاعلاً إيّاها مصدراً وحيداً للحقيقة والمعنى، مما يشير إلى تحوّل جذري عن الإيمان التّقليدي إلى إيمان بالإنسان المتفرد. القلب هنا هو المعبد الذي يحمل أسراراً تفوق قدرة التّحمل العادية في كناية عن العظمة الداخلية والطّاقة الرّوحية الكامنة. ويصل الشّاعر إلى ذروة التّضحية الذّاتية في تصويره لتحويل الألم إلى معنى" أحرقته وسكبت في ظمأ الشّقاء رماده فهو الرّحيق الأفضل". هنا تتجسد قيمة التحويل من خلال التكثيف الصوري؛ إذ تحرق الذّات(القلب) في نار المعاناة والألم، ليصبح رمادها ليس نهاية بل" الرّحيق الأفضل" هذا التّصوير يمثل العملية التي يمرّ بها الشّاعر، وهي عملية التّطهير بالنار. الرّماد الذي هو عادة رمز للفناء والزّوال يتحوّل هنا إلى رحيق، وهو رمز للخلاصة والجوهر النّفيس، هذا التّحويل يرسخ قيمة الألم بوصفه مادة لتكوين الوعي الأرقى والحكمة الأجمل. يعيش الشّاعر ظمأ الشّقاء؛ أيّ إنّه ليس مجرد متلق للألم، بل باحث عنه كشرط للوصول إلى هذا الجوهر.

يتبيّن لنا أنّ الألم يترسخ في شعر نديم محمد بوصفه اختباراً لطاقة الإنسان، وقدرته على الصّبر والتّحمل، إنّه مختبر الصّلابة، ومنبع التّطهير الذي ينقي الذّات من سطحيتها وزيفها، ويجعلها تواجه واقعها بوعي القيم التي تظهر من خلال الصّراعات التي ترفض من خلالها الذّات كلّ ما هو تافه ورخيص لتحقق جوهرها الجماليّ. من هذا المنطلق، لا يُعدّ الألم نقيضاً للحياة، بل يعلي من شأنها عبر إعادة تقييم الواقع، وتحويل الإحساس بالمعاناة إلى التزام قيميّ متمرد على قسوة الحياة. وهذا ما سيتناوله البحث في قيمة الحياة.

ج. قيمة الحياة:

تُعدّ قيمة الحياة إحدى الأسئلة الفلسفيّة، والأخلاقيّة الأكثر إلحاحاً وعمقاً في تاريخ الفكر البشريّ، إنّها ليست مجرد مفهوم بيولوجي، بل هي صميم التّجربة الإنسانيّة تتقاطع فيها الفلسفة وعلم الاجتماع والأخلاق.

ففي الفلسفة اليونانية تُبنى قيمة الحياة على أساس العقلانيّة، والقدرة على فعل الخير الأسمى بتوجيه من العقل ليعيش الإنسان حياة جديرة بالعيش. يقول سقراط: "حياة لا امتحان بها ليست من عمر الإنسان." [1] والامتحان هنا ليس امتحاناً خارجياً بل هو عملية داخلية من التّحليل والتّفكير النّقدي؛ أيّ فحص الذّات، وسؤال النّفس عن دوافعها وقيمها وأفعالها.

وفي كتاب (الأخلاق إلى نيقوماخوس) رأى أرسطو أنّ قيمة الحياة تكمن في تحقيق الفضيلة فكان المفهوم المحوري لقيمة الحياة هو السّعادة، "فالإنسان السّعيد هو ذلك الذي يسير دائماً على مقتضى الفضيلة الكاملة." [2]

ومع ظهور الفلسفة الوجودية في القرن العشرين تحول التّركيز على الأسس الموضوعيّة إلى التّركيز على القيمة التي يجب على الإنسان إبداعها وخلقها بنفسه، وهذا ما ذهب إليه جان بول سارتر بأنّ " الإنسان ليس شيئاً آخر سوى ما يصنعه هو بنفسه." [3] وفي هذا السّياق تصبح قيمة الحياة ليست شيئاً نكتشفه، بل شيئاً نخلقه بأفعالنا واختياراتنا. هذه الرّؤية تضع عبئاً هائلاً من المسؤولية على الذّات الإنسانيّة، وتجعل قيمة حياتها انعكاساً لمدى التزامها بالحرية.

هذه التبّعية لقيم القطيع، تجعل الإنسان في مواجهة الفراغ واللاجدوى، هذا ما يمثل نقطة انطلاق ألبير كامو بالعبث، إلا أنّ تركيزه على العبث لا يخلو من نظرة متفائلة يكمن جوهرها في الخلاص من الفراغ واللاجدوى.

[1] أفلاطون: دفاع سقراط، عربه عن اليونانية أيزيدور أبو حنا، مطبعة الرهبانية المخلصية، لبنان، د. ط، 1940، ص56_57.

[2] أرسطوطاليس: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ج1، ترجمة: أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924، 212_213.

[3] الوجودية مذهب إنساني، ترجمة: عبد المنعم الحفنى، الدار المصرية، ط1، 1964، ص14.

فالاعتراف بلا جدوى الحياة ليس إنكاراً لقيمتها، بل هو النّقطة التي تتجلى فيها قيمة الكفاح والتّمرد، هذا التّمرد ليس رفضاً للعبث، بل هو إصرار للعيش داخل العبث؛ إذ يجد الإنسان قيمته في كونه إنساناً واعياً ومتمرداً على فراغ الحياة. ينهي كامو أسطورة سيزيف بقوله:" يجب أن نتخيل سيزيف سعيداً." [1]

فلا ينبع الشّعور بقيمة الحياة من مجرد استمرار الوظائف البيولوجية، بل تتأكد من خلال التجربة؛ أيّ التّفاعل الواعي مع العالم، ومواجهة الصّعاب، فتتحوّل الحياة من حالة سلبية إلى فعل إيجابيّ. بهذا المنظور، فإنّ" طبيعة الحياة يجب أن تُدرك بأفعال الحياة ذاتها." [2]

تظهر الرّؤى الفلسفيّة تبايناً في تحديد قيمة الحياة، لكنها تتفق على أنّ هذه القيمة لا تُمنح، بل تُكتسب من خلال اختيار الإنسان لحريته، ومدى وعيه بوجوده في هذا العالم، لقد أسست الفلسفة اليونانية مفهوم قيمة الحياة بارتباطه بتحقيق الفضيلة وأعمال الخير، في المقابل رأى نيتشه أنّ قيمة الحياة تُبنى على التّجاوز، وإعادة تقييم القيم، أمّا الوجودية فقد وجدت أنّ قيمة الحياة تكمن في حرية الفرد المطلقة، والخلق الذّاتي، ثم جاء ألبير كامو ليضيف بعداً آخر لتحديد قيمة الحياة من خلال فعل التمرد على الفراغ.

يمكن القول: لا تستقر قيمة الحياة في مفهوم واحد، فالحياة ذات القيمة هي التي تنجح في الجمع بين قوة الإرادة النّيتشوية لرفض الخضوع، والمسؤولية الواعية لخلق القيمة مع التّمرد من خلال الفعل الواعي.

وقد شكلت هذه القيمة عند الشّاعر نديم محمد تحدياً جماليّاً ووجودياً؛ إذ لم تكن الحياة في شعره مجرد خلفية للأحداث، بل كانت بؤرة تأملية تتشابك فيها خيوط العبث، والبحث عن المعنى والسّؤال هنا: ما المفهوم الفردي للحياة الذي يقدمه الشّاعر؟ هل هي وجود ماديّ محض، تجربة روحية، عبث، أم رحلة نحو هدف أسمى؟

يجسد الشّاعر صراعه مع الحياة مقدماً صوراً عنيفة تعكس حجم القهر والألم، لكنه يختتم بتحدّ معلن، مؤكداً تمرده. يقول[3]:

أمضـــي، ويحمـــلُ منكبـــي نعشـــي ... وتزحمنـــي مـــراراتُ الحيـــاةِ فأذهـــلُ
ويروعُنـــــي دائـــــي، فـــألمسُ حانيـــاً ... صـــــدري، فيُســـــقى مـــــن أذاه فيثمَـــلُ
والفقـــــرُ يـــــذبحُ ظفـــــرَهُ عيشـــــي ... فـــأخطر لاهيـــاً فـــوق الـــدماءِ وأرفـــلُ
والمـــــوت يلحظنـــــي بعينـــــي ســـــارقٍ ... مترصّـــــــدٍ.. لكنّنـــــــي لا أحفـــــــلُ

يجسد النّص رؤية وجودية متأزمة للحياة؛ فالشّاعر لا يرى للحياة قيمة ذاتيّة مبهجة، بل يراها صوراً من الألم والمرارة والعدميّة، مما يجعل قيمتها تُبنى على التّمرد، والمقاومة في وجه الواقع المؤلم؛ إذ يصور الشّاعر نفسه كائناً يسير نحو الموت حتى وهو حيّ، هذا يمثل الوعي المأساويّ بالوجود (تزحمني مرارات الحياة) ومع كلّ هذه الوطأة تتجلى الجماليّة الحقيقة لقيمة الحياة في فعل التّحدي الوجودي، والرّفض المطلق للانهزام؛ إذ يختار الشّاعر أن "يخطر لاهياً فوق الدماء" محققاً بذلك استعلاء يتجاوز قسوة الحياة، هذا الموقف في مواجهة الألم، هو إعلان أنّ قيمة الحياة كامنة في الإرادة الحرة للتحدي، والمقاومة وليس في خلوها من القسوة، إنّه موقف يمثل قدرة الروح على الاحتفاظ بجمالها وهويتها الأخلاقيّة في أصعب اللحظات(فألمس حانيا صدري فيسقى من أذاه ويثمل). هذا الثمل ليس ثمل فرح،

---

[1] أسطورة سيزيف، ترجمة: أنيس زكي حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، د. ت، ص143.

[2] كامبل، جوزيف: قوة الأسطورة، ترجمة: حسن صقر، ميساء صقر، دار الكلمة للنشر والتّوزيع، ط1، 1999، ص150.

[3] المجلد الخامس (شاعر وصومعة)، ص254

بل ثمل الألم. هذا الانتقال من الألم إلى الخدر المريح هو ذروة الموقف المأساوي. كأن الشّاعر يقول: لا مواساة لي سوى في الألم ذاته. وتختتم القصيدة بالذروة الجماليّة للموقف" لكنني لا أحفل" هذا الموقف الأخير هو قرار واع بتثبيت قيمة الحياة بالتحدي، والعيش بكامل القوة لتجسيد معنى ذاتيّ يتجاوز الواقع. فالتّحديق في وجه الموت هو التّعبير المطلق عن الكينونة، وتأكيد نهائي للوجود. قيمة الحياة هنا تتجلى في التّأكيد النّهائي للوجود؛ إذ تكون الحياة قد جرّدت الموت من سلطته المباغتة، ورهبته بعناد الشّاعر البطوليّ، وإصراره على الصّمود في وجه الألم، وتجسيده للوعي المطلق في مواجهة الموت.

وللشاعر قصيدة أخرى بعنوان "أين الحقيقة" يعالج فيها قيمة الحياة والقدرة الإنسانيّة من منظور يقابل فيه بين عظمة الفعل في الدنيا، وسكون ما بعد الموت. يقول[1]:

فـالروحُ بعـد المـوتِ لعبـةُ لاعـ ... بِ بيـدِ العناصـر
لا لـذّةً تـدري... ولا أ ... لم ولا حشـر حاشـر
فـإذا قنعـتَ مـن الحيـاةِ بمـا كـره ... تـ، فأنـتَ خاسـر
لـكَ مـن حياتـكَ مـا قـدر ... ت ولسـتَ بعـدَ المـوتِ قـادر

تبدأ القصيدة بتجسيد الموت على أنّه حالة تتحول فيها الذّات الإنسانيّة إلى لعبة في يد الطّبيعة بعيدة عن الفاعلية الإنسانيّة؛ إذ تتلاشى الأحاسيس (اللذة والألم)، وتُجرّد الرّوح من أي أبديّة، وتُختزل في مكوّن ماديّ بحت، مما يعلي من قيمة الإحساس بالحياة. هذا التّصوير للموت بوصفه سكوناً، والنّفي الصّريح للذة والألم والحشر هو بمنزلة تمهيد ضروري لترسيخ القيمة الجماليّة للحياة؛ إذ تكتسب الحياة جماليّة الفعل والإرادة؛ لأنّها المرحلة الوحيدة التي يمتلك فيها الإنسان الفاعليّة على الإنجاز. فالشّاعر يعلنها بوضوح أنّ" لك من حياتك ما قدرت ولست بعد الموت بقادر" جاعلاً من الفاعلية القيمة المطلقة للحياة، في هذا السّياق تعدّ الحياة القناعة السّلبية بما يكره المرء خسارة لا تُغتفر؛ لأنّها تعني إهدار أغلى ما يملكه الإنسان. لهذا، فإنّ قيمة الحياة هنا ليست في استمراريتها وديمومتها، بل في عظمتها اللحظيّة، والجمال يتجلى في الكبرياء الذي يدفع الإنسان لرفض العجز والذّل. كما أنّ الجمع بين المتناقضات "لذة" و" ألم"، وتكرار أدوات النّفي (لا، لست) يجعل رؤية الشّاعر للموت تبدو وكأنّها حقيقة مطلقة غير قابلة للشك، فما دامت الفاعليّة تتلاشى بعد الموت، تصبح القيمة متجلية في الحياة وفي اللحظة الحاضرة.

ويطلق الشّاعر صرخة وجودية، مقدماً نصاً يعلن فيه قوة الذّات في صناعة مصيرها. يقول[2]:

أريـدُ أن أحيـا... فهـذا ملعـبُ ... الأفـقِ، وفيـه لجنـاحي مصـعد
أريـدُ أن أحيـا، ومـن يمنعنـي ... لا أحـد يمنعنـي... لا أحـد!
حكـايتي فـي بـدئِها، وخمرتـي ... محمومـةٌ، فـي كأسِـها تبتـردُ
ونفحـةٌ دافئـةٌ، فلـم يـزلْ ... فـي مجمـرِ القلـبِ هـوى لا يخمـدُ
سـأغرقُ الشّـقاءَ فـي سُـخري، سـأمحو ... صـورةَ المـوتِ.. غـداً، سـأولدُ

نجد أنّ قيمة الحياة في هذا النّص تترسخ بوصفها حقاً أصيلاً غير قابل للتنازل والمساومة، ويتقمص الشّاعر دور ينبوع الإلهام الذي يحرر الذّات من قيود الإحباط، مؤكداً أنّ المصير وليد الاختيار الذّاتي؛ إذ يبدأ الشّاعر ب "أريد

[1] المجلد الأول (من خيال الماضي)، ص46.

[2] المجلد الخامس (شاعر وصومعة)، ص222_223.

أن أحيا" وهي ليست مجرد رغبة بالحياة، بل إعلان حق يرسخ قيمة الحياة كجوهر للكينونة. هذا الحق يتجلّى في التّحدي، وهو صرخة حرية تسقط كلّ سلطة خارجيّة (لا أحد يمنعني)؛ إذ تتحول الحياة إلى مجال رحب وواسع لإثبات الذّات، والسّير نحو الأهداف العليا والقيم السّامية. وتظهر قيمة الحياة بوصفها فضاء تحقيق الطّموح اللامحدود، وإمكانية تجاوز الخضوع من خلال الشّغف بالاستمرارية الذي يمنح الحياة قيمتها (في مجمر القلب هوى لا يخمد)، وتتوج القصيدة مفهومها لقيمة الحياة في فعل الخلق، ومحو صورة الموت وإلغاء سلطته (سأغرق الشّقاء في سخري)، هذا ليس مجرد أمل في البعث، بل هو ميثاق التّجديد المستمر؛ إذ تصبح كلّ لحظة فجراً وولادة جديدة للروح تُحوّل فيها كلّ نهاية إلى بداية جديدة.

هكذا، نرى أنّ الحياة في شعر نديم محمد ليست مجرد وجود بيولوجي، بل هي سعي واعي يستمد قيمته من الفعل والإرادة والقدرة على الخلق. فقيمتها لا تأتي من السّكون، بل في البحث عن الذّات. ومع هذا الاحتفاء بقيمة الحياة وجماليّة الفعل والإرادة، فإنّ هذا التّصور يضعنا في مقابل الطّرف المناقض لها وهو الموت.

د. قيمة الموت:

يُعدّ الموت الزّوال البيولوجي المحتوم والمشترك لكلّ كائن حيّ لا مفر منه، لكنه يسمو في مفهومه على مجرد كونه زوالاً بيولوجياً ليغدو محوراً وجودياً وأخلاقيّاً في التّجربة الإنسانيّة. ومع أنُّه ينظَر إليه بوصفه نهايةً مأساويةً، فإنّ التّحليل الفلسفيّ يصوّره على أنّه المقياس الذي يشكل هيئة الحياة، ويضفي عليها المعنى والقيمة.

يبيّن هذا أنّ للموت قيمة مضادة للبديهية التي يمثلها بوصفه" ليس عكساً للحياة، إنّما هو اكتمالها"[1]؛ إذ يمثل النّقطة التي تكتمل فيها دلالة الحياة بأسرها. فالحياة لا يمكن أن تكون ذات معنى إلّا بوجود هذه النّهاية المحتومة. وهذا ما أكدّه الفلاسفة الوجوديون فقد رأى مارتن هيدغر أنّ" الكينونة الأصيلة نحو الموت تدلّ على إمكانية وجودية." [2] في فلسفة هايدغر الموت هو جزء ثابت في وجودنا، وهو مصدر أصالة الفرد يختبر شجاعته ووعيه في مواجهة الموت بدلاً من الانغماس في الحياة السّطحية والتّفاهات. من ناحية أخرى يرى سارتر أنّ " الموت ليس عقبة في سبيل مشروعاتي، إنّه فقط مصير إلى مكان آخر لهذه المشروعات." [3] ويتجلى الأمر المهم في هذه النظرة للموت في إضفاء البعد الجمالي عليه، له فبدلاً من أن يكون قبيحاً، يصبح النّقطة التي تنتقل فيها المشروعات إلى مرحلة جديدة من المعنى أو القيمة، فالموت ليس عائقاً أمام المشروعات، بل يثبت وجودها، ويعطيها إمكانية الخلود. وهنا نصل إلى فكرة " إذا لم يكن للمرء زمن على الإطلاق، فلا بد أن يكون إذن بلا أمل تمامًا." [4] بهذا، يغدو الموت الحد النّهائي للزّمن الذي يدفع المرء إلى الفعل.

من هنا، يجب تقبّل الموت بوصفه حقيقةً حتميةً (فعل من أفعال الحياة)، وجزءاً لا يتجزأ من دورة الوجود، إلا أنّه قد تكون هذه الحتمية هي ما تحقق التّحرر من هموم الحياة وآلامها، فيصبح بذلك الموت انعتاقاً للروح من سجن

---

[1] شورون، جاك: الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1984، ص168.

[2] الكينونة والزمان، ترجمة: د. فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2012، ص 464.

[3] الوجود والعدم بحث في الأنطولوجيا الظاهراتية، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ص864.

[4] كارس، جيمس ب: الموت والوجود دراسة لتصورات الفناء الإنسانيّ في التراث الديني والفلسفيّ العالمي، ترجمة: بدر الديب، المجلس الأعلى للثقافة، د. ط، 1998، ص572.

الجسد الماديّ، للانطلاق نحو حالة من الحرية. "فنحن لا نرغب في الموت إلّا عند إحساسنا الغامض بالضيق واضح المعالم."[1] كما يقول سيوران.

يمثل الموت هنا الامتحان الأخير الذي يجب اجتيازه وقبوله . وتكمن قيمته في أنّه الأساس الجوهري للأصالة، والمنفذ الوحيد للإدراك.

وبهذا، يمكن القول: ليس الموت نقيضاً للحياة، بل هو جزء لا يتجزأ من دورة الوجود، وهو حتمية طبيعية لا يمكن الهروب منها، وفي الوقت نفسه يمثل الموت في سياقاته الفلسفيّة والأدبيّة نقطة تحول كبرى فهو الوسيلة للخلاص من ثقل الحياة.

نتساءل هنا: كيف نظر نديم محمد إلى الموت؟؟ أهو لحظة مخيفة، أم اختصار لثقل الحياة؟ ما العلاقة بين وعي الإنسان بالموت ومبادئه الأخلاقيّة؟ وكيف تحوّل الموت في قصائده إلى معنى؟ وهل تمجد قصائده الحياة من خلال تصويرها المأساوي للموت، أم تحتفي بالموت بوصفه سبيلاً للحرية من عبث الحياة؟

لقد عرف الشّاعر أنّ الحياة معاناة وألم، فأصبحت هذه المعاناة حجة ضد الحياة وتقبلها، فكانت المهمة التي عدّها نديم محمد مهمته أن يتجاوز الواقع، وأن يقهر عذاباته، ويتمتع بالحرية والجمال. يقول: [2]

هـــذا شـــعوري، وهـــذا حسّـــي، يموتـــان قبلـــي
لا، لا، كرهـــتُ وجـــودي وأصـــبح المـــوتُ شـــغلي
فلـــيس يغنـــي مقـــالي ولـــيس يثمـــرُ فعلـــي
أنـــا القـــويّ ولكـــن زنـــدي يحطّـــم نصـــلي
عجبـــتُ للمـــوتِ يُخشـــى وإنـــه.. جـــدّ ســـهل
تعبـــتُ، يـــا مـــوتُ زرنـــي مـــن جهـــلِ قـــومِي وأهلـــي!

تتجلى قيمة الموت في هذا النّص بوصفها أسمى مراتب السّلام، والتّحرر من جهل الآخرين، والحل الوحيد لعذاب داخلي مؤلم؛ إذ يبدأ الشّاعر بالإعلان عن احتضاره الرّوحي السّابق لموته الجسدي "هذا شعوري، وهذا حسّي يموتان بعدي" ما يعكس استسلامه، وقد مثّل هذا تماهياً مع الموت حين أصبح الوجود الخارجي لا قيمة له. ويجعل الشّاعر الموت غايته عندما يقرن نظرته إلى الحياة بكراهيته لها، فلم يعد الموت مجرد نهاية حتمية، بل يصبح الغاية المطلقة التي يسعى إليها الشّاعر فيرتقي فوق الرّغبة بالحياة لصالح التّحرر المطلق، والتّعالي على القيود، وما يعزز هذا المعنى وهذه الرّغبة بالموت هو العبثية الكلية للحياة نتيجة فقدان جميع المساعي سواء بالتّعبير أو الإنجاز "فليس يغني مقالي، وليس يثمر فعلي"، ووسائل الفرد الأساسيّة للتأثير في العالم. وعندما أدرك نديم محمد غياب هذه الوسائل، وبالتالي غياب الوجود الهادف تلاشت قيمة الحياة في عينيه، فأصبحت حياته ساحة اللامعنى. هذا العجز هو الدافع لاندفاع الذّات نحو الموت (عجبت للموت يخشى وأنّه جد سهل) هذا قلب للمعايير الجماليّة للموت. فالشّاعر لا يرى فيه الجانب المخيف، بل الجانب الجميل المرتبط بالتحرر. ويبدو الشّاعر في النّص متناقضاً يقرّ بقوته، لكنه يستخدم هذه القوة في سبيل تحقيق الزّوال والعدم. وهنا تكمن المفارقة "أنا القوي ولكن زندي يحطم نصلي"، يمثل الموت في هذا

[1] **مثالب الولادة، ترجمة: آدم فتحي، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2015، ص113.**
[2] **المجلد الأول (من خيال الماضي)، ص88_89.**

البيت الانعتاق من صراع الإنسان مع الحياة مما يجعله سهلاً بسيطاً لا يُخشى؛ لأنّه فعل الخلاص من الواقع السّطحي المنغلق. ومما تعانيه الذّات من صراع ذاتيّ مدمر.

ويصوّر الشّاعر الموت بوصفه المآل الموعود والملجأ المرتجى، وليس نهاية مفزعة يقول: [1]

فالموتُ راحةُ متعبٍ، فأرائكُ حَلِيت، وظلٌّ وارفٌ ونمارقُ
وجنى.. وأطيارٌ وماءٌ كوثرٌ وحدائقٌ غُلبٌ، وطيب عابقُ
وكواعبٌ حورٌ، وخمرٌ لذّةٌ أكوابها من فضّةٍ تتصافقُ
ونعيمُ حُلمٍ سابقٌ.. وفديتُه بحياتِنا.. ونعيمُ خلدٍ لاحقُ

ليس الموت في هذا النّص مجرد تحرر من الألم، بل أصبح نقلة إلى عالم مثالي. ففي هذا النّص يُقدَّم الموت بوصفه انتقالاً ضرورياً نحو الجمال والرّاحة." فالموت راحة متعبٍ"، هذه الجملة تصوّر الموت كمخرج من الحياة، وهي العبء والهم والثّقل الوجوديّ. والموت هو الحرية والطّريق نحو الجمال والخلود. إنّه ارتقاء من حالة الكدر إلى حالة الاكتفاء والنّعيم مما يحقق الحياة المثالية التي تستحيل في الواقع البشريّ (ظل، جنى، كوثر، حدائق، طيب) هذه العناصر ليست مجرد تصورات دينية ، بل لها قيمة تؤكد أنّ المصير بعد الموت هو الحياة، لكن ليست الحياة الدنيوية وما فيها من ألم ويأس، إنّه نعيم الخلد الذي يُعدّ الثواب المبرر لتضحية الإنسان "فديته بحياتنا"؛ إذ تُقدَم فكرة الفداء الحياة مقابل نعيم الخلد. وهذا فعل قيمة يؤكد أنّ للحياة غاية متسامية فوق الحدود المادية. والفداء هنا يجعل الفناء المقدر خلوداً مستحقاً. وبذلك بدلاً من أن يكون الموت دلالة على اللامعنى يصبح أمراً مرحبّاً به يمنح الذّات حريتها وراحتها. يقول[2]:

اتركوني، أموتُ كالضّوءِ في وحشةِ كهفٍ، وفي خواءِ حفيرِ
اتركوني، أمضي عزيزاً فلا يحملُ شيبي مياسمَ... التّعفِيرِ

الموتُ في هذا النّص هو موقف يُتخذ، تكمن قيمته في كونه الملاذ للعزة، والتّحرر والانعزال، ووسيلة للحفاظ على قيم الذّات الأصيلة وسط واقع الذل والهوان، الموت هنا ليس مجرد نهاية حياة، بل هو اختيار واعٍ للزوال، والجمال يكمن في بطولة الاختيار، فالشّاعر يؤثر العزة في الرّحيل على السّلامة في البقاء في ضوضاء الحياة "وحشة كهف وخواء حفير" مما يظهر قوة الرّوح في مواجهة اليأس، هذا التّوق إلى النّهاية المثالية، والاحترام الذّاتي يُعدّ قمة في الوعي الجماليّ في المآسي الكبرى "اتركوني أمضي عزيزاً". فهذا الموقف يُشعر المتلقي بأنّ الحياة تتعدى الغايات المادية، وأنّ سمو الرّوح وحفاظها على قيمها وتفردها هو في حدّ ذاته جمال جوهريّ أصيل. والهدف الحقيقي للوجود الإنسانيّ لا يمكن أن يوجد فيما يسمى بتحقيق الذّات، فالوجود الإنسانيّ هو بالضرورة تسام بالذّات، وتجاوز لها أكثر من أن يكون تحقيقاً للذات"[3] على حد تعبير فيكتور فرانكل.

---

[1] محمد، نديم: الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الرابع (رفاق يمضون)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1998، ص154.

[2] المجلد الثّاني(آلام)، ص259.

[3] الإنسان يبحث عن المعنى مقدمة في العلاج بالمعنى التسامي بالنفس، ترجمة: د. طلعت منصور، دار القلم، الكويت، ط1، 1982، ص147.

فالغاية من الحياة ليست مجرد تحقيق إمكانات الذّات، وإنّما هي حركة دائمة نحو تسامي الذّات وتجاوزها. هذا الموقف الجماليّ ليس جديداً على الشّاعر، فتعظيمه للموت يمنحه هالة جماليّة قائمة على التّضحية بالذّات في سبيل القيمة. إنّها جماليّة الموقف. يقول في موضع آخر[1]:

اتركوني أموتُ للموتِ، لا أشهدُ جنداً سلاحه من غرور

يتجلى الموت هنا بوصفه موقفاً أخلاقيّاً ضد غرور القوة، فالشّاعر يرفض أن يعترف بجندٍ، أو قوة، أو سلطة مبنية على الكبرياء الزّائف، واختيار الموت هو إبطال لشرعية هذه القوة، فشهادته على وجودهم هي ما تمنحهم الحضور. وبرفضه الشّهادة هو يعلن بطلان هذه القوة حتى بثمن حياته، الموت هنا هو إعلان براءة من عالم يراه الشّاعر فاسداً أو مضللاً. لهذا السّبب يقول: "أتركوني أموت للموت".

وما يؤكد هذه المعاني قوله[2] أيضاً:

أتركوني أرجعُ إلى الدّنِ ما أعطى وأهرُب من الحياةِ العقيم
أتركوني أعقرُ وجودي على الكأسِ فأَسْقي الكرومَ روحَ الكروم
أتركوني أفرُّ من قسوةِ الحسِّ إلى ظلمةِ الخمودِ الرّحيم

هكذا، يكتسب الموت قيمة أخلاقيّة وجماليّة عليا تفوق قيمة الحياة، فالحديث عن الحياة العقيم ليس هدفاً بحدّ ذاته، بل هو السّبب الموجب للهروب، الشّاعر يصف الحياة لكي يرفضها؛ أيَّ إنّ قيمة الحياة محددة سلفاً بأنّها عقيمة، فيهرب الشّاعر إلى ظلمة الخمود الرّحيم. هذا التّحالف بين الفناء والرّاحة يخلق صورة جماليّة للسكون الأبديّ؛ إذ يُنظر إلى الموت كمنقذ من صخب الحياة.

ويتمّ تجريد الموت من سلطته المخيفة ليصبح كياناً متوحداً في أبهى صور الوجود، إنّها عملية تأكيد التّسامي على الألم عبر القيمة، والتّركيز على أنّ الجمال يروّض الخوف ويخضعه. يقول[3]:

والموتُ! هذا طيفُه السّكرانُ في كأسي وراحِي
... ما همّ... أحملُه وأحبسُه بأحضانِ الملاحِ
وأهزُّ في وجهِ الحياةِ يدي، وأسمعُها صياحي
جاوزتُ غاياتِ الكفاحِ وعزّ إلقاء السّلاح

يظهر الموت في هذا النّص كطيف مستوعّب، مقبول يتجسد ويتماهى في روح الحياة؛ أيّ إنّ الشّاعر يشرب فكرة موته، ويجعلها جزءاً من حياته، هذا يمثل رفضاً للخوف من الموت. فالشّاعر يستوعب المصير الحتمي في غمرة اللذة ليلغي الحد الفاصل بين الحياة والفناء، وتبلغ القصيدة ذروتها الجماليّة في البيت الثّاني "أحمله وأحبسه بأحضان الملاح" الذي يمثل موقف اللامبالاة المتعمدة تجاه الموت، فبدلاً من أن يهرب منه يجعله عنصراً أصيلاً في تكوينه طالما أنّه حبيس" أحضان الملاح" (الجمال، الحب، الوطن) فإنّه يعجز عن ممارسة سلطته المخيفة. الشّاعر يرفع من قيمة الإرادة والجمال إلى حدّ أن يصبحا سجّاناً للموت، هذه هي قوة التّناقض الجماليّ؛ إذ تحوّل الموت إلى كيان مقيّد

[1] **المجلد الثّاني(آلام)، ص254.**
[2] **المصدر نفسه، ص227.**
3 **المجلد الثّاني(فراشات)، ص366.**

بالجمال، وتحوّل الشّاعر من موقف الخائف إلى موقف المتحكم في مصيره، هذا الجمع بين المأساة (الموت) والجمال هو غاية الجمال الذي يمنح الإنسان انتصاراً على المصير، ليصبح كائناً كفاحياً لا يستطيع التّخلي عن سلاحه.

وهكذا، نصل إلى أنّ الموت في شعر نديم محمد هو الخلاص الأسمى الذي يحرر الذّات من كلّ قيد، إنّه بمنزلة العودة إلى الأصل حيث تنعم الرّوح بالحرية، وبرؤية الجمال، هذا الخلاص لا يُنظر إليه بوصفه هروباً سلبياً، بل كفعل إيجابي يحقق الغاية القصوى في السّمو، ويمثل البعد الآخر الذي يبرز قيمة الفعل في الحياة.

خاتمة:

تكشف دراسة القيم العاطفية في شعر نديم محمد أنّ النّص الشّعري يتجاوز كونه وعاءً للأحاسيس إلى كونه فضاء تأملياً وجماليّاً يعيد تشكيل الوعي بالتجربة الإنسانية في أبعادها النّفسية والفكرية؛ إذ يظهر الحب بوصفه قيمة أساسية تؤسس محور بناء الذّات الوجدانية، في حين يجسد الألم منبع تطهير الذّات واختبار صلابتها. ولا تقدم تصورات الحياة والموت في نصوصه على أنّها حقائق مادية فحسب، بل تشكل أبعاداً رمزية ووجودية فالموت هو نقلة إلى عالم مثاليّ، وتستمد الحياة قيمتها من الفعل والوعي والإرادة. مما يؤكد أنّ شعر نديم محمد ليس مجرد تعبير وجداني، بل إعادة صياغة فنية وفكرية للتجربة الإنسانيّة بأبعادها المعرفية والجماليّة.

المراجع (Reference)

[1] إبراهيم، زكريا: مشكلة الحبّ، مكتبة مصر، ط2، 1970.

Ibrahim, Zakaria: The Problem of Love, Misr Library, 2nd ed., in Arabic, 1970.

[2] إبراهيم، د. زكريا: مشكلة الحياة، دار مصر للطباعة، د. ط، 1971.

Ibrahim, Dr. Zakaria: The Problem of Life, Misr Printing House, n.d., in Arabic, 1971.

[3] إبراهيم، زكريا. المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، د. ط، 1966.

Ibrahim, Zakaria: The Moral Problem, Misr Library, n.d., in Arabic, 1966.

[4] أرسطوطاليس: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة: أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924.

Aristotle: Nicomachean Ethics, translated by Ahmed Lotfi El-Sayed, Egyptian National Library, Cairo, in Arabic, 1924.

[5] أفلاطون: دفاع سقراط، عربه عن اليونانية أيزيدور أبو حنا، مطبعة الرهبانية المخلصية، لبنان، د. ط، 1940.

Plato: Socrates' Apology, translated from the Greek by Isidore Abu Hanna, Al-Mukhlisiyah Monastic Press, Lebanon, n.d., in Arabic, 1940.

[6] الإنسان يبحث عن المعنى مقدمة في العلاج بالمعنى التسامي بالنفس، ترجمة: د. طلعت منصور، دار القلم، الكويت، ط1، 1982.

Man's Search for Meaning: An Introduction to Logotherapy and Self-Transcendence, translated by Dr. Talaat Mansour, Dar Al-Qalam, Kuwait, 1st ed., in Arabic, 1982.

[7] بدوي، د. عبد الرحمن. دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980.

Badawi, Dr. Abdul Rahman. Studies in Existential Philosophy, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1st ed., in Arabic, 1980.

[8] جمعة، محمد لطفي: مائدة أفلاطون كلام في الحب، مؤسسة هنداوي، د. ط، 2021.

Juma, Muhammad Lutfi: Plato's Table: Discourses on Love, Hindawi Foundation, n.d., in Arabic, 2021.

[9] سارتر، جون بول: الوجود والعدم بحث في الانطولوجيا الظاهراتية، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط1، 1966.

Sartre, Jean-Paul: Being and Nothingness: An Essay in Phenomenological Ontology, translated by Abd al-Rahman Badawi, Dar al-Adab Publications, Beirut, 1st ed., in Arabic, 1966.

[10] سارتر، جان بول: الوجودية مذهب إنساني، ترجمة: عبد المنعم الحفنى، الدار المصرية، ط1، 1964.

Sartre, Jean-Paul: Existentialism: A Humanism, translated by Abd al-Mun'im al-Hafni, Egyptian House, 1st ed., in Arabic, 1964.

[11] شورون، جاك: الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1984.

Choron, Jacques: Death in Western Thought, translated by Kamil Yusuf Hussein, National Council for Culture, Arts and Letters, World of Knowledge Series, Kuwait, in Arabic, 1984.

[12] كارس، جيمس ب: الموت والوجود دراسة لتصورات الفناء الإنسانيّ في التراث الديني والفلسفيّ العالمي، ترجمة: بدر الديب، المجلس الأعلى للثقافة، د. ط، 1998.

Cars, James B.: Death and Being: A Study of Conceptions of Human Mortality in the World's Religious and Philosophical Traditions, translated by Badr al-Deeb, Supreme Council of Culture, in Arabic, n.d.

[13] كامبل، جوزيف: قوة الأسطورة، ترجمة: حسن صقر، ميساء صقر، دار الكلمة للنشر والتّوزيع، ط1، 1999.

Campbell, Joseph: The Power of Myth, translated by Hassan Saqr and Maysaa Saqr, Dar Al Kalima for Publishing and Distribution, 1st edition, in Arabic, 1999.

[14] كامو، ألبير: أسطورة سيزيف، ترجمة: أنيس زكي حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، د. ت.

Camus, Albert: The Myth of Sisyphus, translated by Anis Zaki Hassan, Dar Maktabat Al Hayat, Beirut, in Arabic, n.d.

[15] كامو، ألبير: الإنسان المتمرد، ترجمة: نهادر رضا، منشورات عويدات، بيروت – لبنان، باريس – فرنسا، ط3، 1983م.

Camus, Albert: The Rebel, translated by Nihader Reda, Oweidat Publications, Beirut, Lebanon, Paris, France, 3rd edition, in Arabic, 1983.

[16] مثالب الولادة، ترجمة: آدم فتحي، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2015.

The Troubles of Birth, translated by Adam Fathi, Al Jamal Publications, Baghdad, 1st edition, in Arabic, 2015.

[17] محمد، نديم: الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول (براعم ربيع)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1996

Muhammad, Nadim: Complete Poetic Works, Volume One (Spring Buds), Ministry of Information, Damascus, 1st edition, in Arabic, 1996.

[18] محمد، نديم: الأعمال الشّعرية الكاملة، المجلد الثاني (آلام)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1997

Muhammad, Nadim: Complete Poetic Works, Volume Two (Pains), Ministry of Information, Damascus, 1st edition, in Arabic,1997

[19] محمد، نديم: الأعمال الشّعرية الكاملة، المجلد الثالث(غربة الحس)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1.

Muhammad, Nadim: Complete Poetic Works, Volume Three (The Alienation of Sensation), Ministry of Information, Damascus, 1st edition, in Arabic.

[20] محمد، نديم: الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الرابع (رفاق يمضون)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1998.

Muhammad, Nadim: Complete Poetic Works, Volume Four (Comrades Who Pass By), Ministry of Information, Damascus, 1st edition, in Arabic, 1998.

[21] محمد، نديم: الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الخامس (شاعر صومعة)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1998.

Muhammad, Nadim: Complete Poetic Works, Volume Five (A Hermit poet), Ministry of Information, Damascus, 1st edition, in Arabic, 1998.

[22] نيتشه، فريدريك: ما وراء الخير والشر، ترجمة: جيزيلا فالور حجار، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2003.

Nietzsche, Friedrich: Beyond Good and Evil, translated by Gisela Valeur Hajjar, Dar Al-Farabi, Beirut, 1st edition, in Arabic, 2003.

[23] نيتشه، فريدريش: هكذا تكلم زرادشت – كتاب للجميع ولغير أحد، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2007م.

Nietzsche, Friedrich: Thus Spoke Zarathustra – A Book for Everyone and No One, translated by Ali Misbah, Al-Jamal Publications, Cologne, 1st edition, in Arabic, 2007.

[24] هيدغر، مارتن: الكينونة والزمان، ترجمة: د. فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2012.

Heidegger, Martin: Being and Time, translated by Dr. Fathi Al-Miskini, Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Muttahida, 1st edition, in Arabic, 2012.